



# هل يتحوّل الحلف الأطلسي إلى منظمة عسكرية دولية؟

من مبعوثتنا الخاصة إلى لاتفيا: آسيا العتروس

مع خدمات رحلاتها الجوية القصيرة التي تقدم لركابها ما يتم استهلاكه من اطعمة أو غيرها بمقابل، رغم ما يبيه أهل رiga من طموحات وتفاؤل بشأن المستقبل، ويرغم ما تنفسه لديهم من ارتياح من الانتعاش من البيئة السوفياتية والانضمام إلى الاتحاد الأوروبي والتخلص من قيود التأشيرة التي كانت تفرض عليهم شأنها وخارج الأطار الرسمي للقمة ستجد القليل من يتحمّل لغة غير الروسية أو اللاتينية كما أن الاجراءات الأمنية المتشددة التي فرضت على المدينة قد حولتها إلى ما يشبه مدينة أشباح وعقدت بالتالي الكثير من الأمور، ورغم انضمام لاتفيا إلى الاتحاد الأوروبي منذ 2004 فإن مختلف محلاتها ووسائل النقل فيها والطعام وغيرها لا تقبل غير العمل المحلية، وأمام توقف حركة العمل خلال القمة فقد كانت عمليات التحويل تتطلب إما الانتقال إلى المطار أو البحث عن شبابيك البنوك الثانية القليلة التي تعمل.. ورغم انضمامها حديثاً إلى الاتحاد الأوروبي فإن مستوى المعيشة مرتفع واسعها في أغلب الأحيان مرتفعة جداً.

وقد شهدت Riga منذ 1990 هجرة ما بين 250 ألفاً و400 ألف من شبابها وخبراتها إلى بقية أنحاء أوروبا وهو رقم يمثل نحو 10 بالمائة من عدد سكان البلاد، وإذا كان الكثيرون يعتبرون أن ذلك يمثل كارثة على البلد فإن الاقتصاديين يعتبرونه جزءاً من النجاح الاقتصادي في لاتفيا..

ولا تخلو مدينة Riga في بناءتها وعماراتها من عديد الرموز التي تذكر بتواءل الأنان والسوقيات عليها وهي قد تجمع في أحيان كبيرة بين الكتبة حيناً والظلمة حيناً آخر.. وخلف الكثيর من البناء التقليدية على الطريقة السوفياتية تطل الكثير من الكنائس والقصور الفخمة ذات التفاصيل والزخارف الرائعة..

ويكل ما تحمله رiga من تناقضات فهي توصف لدى الكثيرين بأنها باريس البلطيق وإن السنوات القليلة القادمة ستجعل منها محطة اقتصادية أساسية في المنطقة، ويكفي أن واشنطن حذرتها لتكون جسر العبور للامتداد في المنطقة.. ولكن في المقابل يبقى السؤال المطروح هل ان انضمام لاتفيا للحلف الأطلسي وأعلان ولائها المطلق للسياسة الأمريكية سيضمن لها التخلص نهائياً من الشبع السوفياتي المهيمن عليها؟

نحو مزيد التوسيع والشمولية، فالحلف الذي ضم في صيفوفه عند نشاته الأولى سنة 1949 اشتى عشرة بلداً أمتد خلال الحرب الباردة ليشمل 16 بلداً بعد انضمام تركيا والميونخ في 1952 ثم ألمانيا الفيدرالية في 1955 فاسبانيا في 1982 ولكن الحلف الذي اعتقد الكثيرون أنه سيؤدي مع زوال حلف فرسوفيا ونوازل أسباب وجوده ظل قائماً وامتد ليتسع إلى 26 بلداً في انتظار انضمام المزيد من الدول التي تقف على قائمة الانتظار، وأمام تأكيد الحلف على توسيع مهامه من العمليات العسكرية إلى إعادة الاعمار والتدريب والعمل الاجتماعي والاقتصادي فإن كل المؤشرات تؤكد أن الحلف يتوجه نحو الشمولية بل إن الكثير يرججون ان يزاحم الحلف الأطلسي الأمم المتحدة ليتحول إلى منظمة عسكرية عالمية..

لماذا Riga؟

لقد كان لاختيار Riga عاصمة لاتفاقية لاحتضان قمة الحلف الأطلسي أكثر

انتهت قمة Riga لافتتاح المجال أمام عديد القرارات والتوصيات والتوقعات ولكن تفرض أيضاً الكثير من التساؤلات والمخاوف لدى أكثر من طرف بشأن مستقبل الحلف الأطلسي وأهدافه على مدى العقد القادم، وقد حمل البيان الخاتمي القمة عدداً من المؤشرات التي لا يستهان بها حيث لم تخل قرارة من فقرات الاستقرار والازدهار والعمليات المرتقبة خلال القرن الواحد والعشرين كما لم يخل أيضاً من الدعوات المتكررة والمفتوحة لتوسيع الحلف وفتح الأبواب أمام الدول الأوروبية الجديدة وأول القوقاز وأسيا الوسطى فضلاً عن دعوات الرئيس الأمريكي المتكررة لدعم مبادرات الشراكة الجديدة التي يسعى إلى تحقيقها مع الدول غير الأعضاء مؤشراً آخر على تغيير شكل الحلف وتوجهه سواءً من خلال الشراكة مع اليابان وكوريا الجنوبيتين واستراليا ونيوزيلندا أو كذلك مع مبادرات الشراكة الجديدة من نوعها سواءً مع دول منطقة المتوسط المتوسطي وإسرائيل أو كذلك دول مجلس التعاون الخليجي هذا إلى جانب دعوات الحلف العالمية لتعزيز العلاقات مع موسكو وهو ما تنظر إليه روسيا على الأقل في الوقت الراهن بكثير من الريبة وعدم الارتياح بعد أن بات الحلف الأطلسي يقف على حدودها..

ولعل في هذه التحالفات وغيرها ما يؤكد توجه الحلف نحو مزيد الامتداد والتوسيع بحثاً عن فرض هويته الجديدة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وأنهيار العلو السوفيتي الأول.. إلا أنه وإذا كان الحلف الأطلسي قد كسب الحرب الباردة دون أن يطلق رصاصة واحدة طوال نحو أربعة عقود فإن الحلف طوال السنوات القليلة الماضية ولاسيما منذ حرب كوسوفو سنة 1999 قد تغير في شكله وأهدافه وبينون شك فقد جات هجمات الحادي عشر من سبتمبر لتفتح الحلف أكثر من تبرير لسؤال الذي طالما اضطر لواجهته في أسباب بقائه واستمراره بعد سقوط جدار برلين وأنهيار العلو السوفيتي الأول وبذلك نجحت واشنطن في اقناع أوروبا بأن عدو المستقبل واحد لا محالة..

إلا أنه ويرغم نفمة التفاؤل والامتنار من جانب قادة الحلف الأطلسي خلال قمة Riga على تحقيق الكثير من النتائج في المهمات التي يقودها الحلف في أفغانستان أو العراق فإن الحقائق الميدانية كانت توماً تتنى لتقتل وتكتب ما يروج له من نجاحات مع ترددي الأوضاع وارتفاع الخسائر البشرية للحلف هنا أو هناك رغم محبيه دور الحلف في العراق الذي يظل مقتصراً على وجود 1200 من قوات التحالف التي تقوم بتدريب قوات عراقية..

ولكن إذا كانت القناعة قائمة من واشنطن إلى باريس حول ضرورة التصدي للمخاطر الأمنية المستقبلية فإن الطريق المطلوب في مواجهة الخطر قد تختلف بينهما، فإذا كانت إدارة الرئيس بوش تتجه إلى خيار المواجهة فإن الرئيس الفرنسي شيراك يتوجه نحو ضرورة احتواء الخطر.. وفي كل الأحوال ومن عمليات البalkan إلى أفغانستان



أمين عام الحلف الأطلسي مع رئيسة لاتفيا ومسؤول السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي

من رسائلة إلى أكثر من طرف فجزء من عدو الامم بداخل الحلف وهو ما يعني الكثير في العلاقات بين الأطلسي وروسيا ولعل في دعوة الرئيس بوتين إلى عقد لقاء ثنائياً مع شيراك ورئيسة لاتفيا على هامش القمة وهو ما لم يتم ما يعكس انشغال موسكو بامتداد الحلف إلى حدودها..

والحقيقة أن اختيار Riga قد عكس أيضاً الكثير من أهداف واشنطن خلال القمة، فبرغم كل الاستعدادات الكبيرة التي اظهرتها لاتفيا خلال قمة روساء ورؤساء حكومات الحلف الأطلسي ويرغم الاجراءات الأمنية، فإن المفاجآت المثيرة في Riga لا تبدأ

الارقام إلى أن الولايات المتحدة تتفق من عدو الامم بداخل الحلف الفاعلية مقابل 265,7 لبقة دولار الحلف الأطلسي معاً بينما 54,8 مليار دولار لفرنسا و52,8 مليار دولار لبريطانيا الحليف العسكري الأول للولايات المتحدة 11,7 مليار دولار لتركيا 32,4 مليار دولار لإيطاليا و39,3 مليار دولار لأنانيا فيما لا تزيد نفقات كندا عن 12,5 مليار دولار وأسبانيا عن 13,6 مليار دولار أما الدول الصغيرة المنضمة حديثاً فلا تتجاوز مثلًا في سلوفاكيا 0,9 مليار دولار و0,2 في استونيا و0,2 في لاتفيا..

لقد عكست قمة Riga توجهات الحلف